

الحقائق والرّقائق

تأليف

الإمام الفقيه أبي عبد الله محمّد بن محمّد المقّري

المتوفى ٧٥٩هـ

اعتنى به

عمرو سيّد شوكت

يا قليل العزاء في الأهوال

وكثير الهموم والأوجال

صبر النفس عند كل ملم

إن في الصبر حيلة المحتال

لا تضق في الأمور ذرعاً فـ

ـقد يكشف عنها الردى بغير احتيال

ربما تكره النفوس من الأمر

له فرجة كحلّ العِقال

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤلف الرسالة

المؤلف إمام كبير وُصِف بالاجتهاد، وبلغ مراتب عليا في علوم الدين، هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر، أبو عبد الله القرشي التلمساني، الشهير بالمقري: باحث، من الفقهاء الأدباء المتصوفين. من علماء المالكية، ولد وتعلم بتلمسان. وخرج منها مع المتوكل أبي عنان (سنة ٧٤٩ هـ) إلى مدينة فاس، فولي القضاء فيها وحمدت سيرته. وحج، ورحل في سفارة إلى الأندلس. وعاد إلى فاس، فتوفي بها ودفن بتلمسان. وهو جد المؤرخ الأديب صاحب (نفح الطيب). له مصنفات، منها (القواعد) في شستربتي (٤٧٤٨) اشتمل على ١٢٠٠ قاعدة، و(الحقائق والرقائق)، و(المحاضرات) و(التحف والطرف) و(رحلة المتبتل) و(إقامة المريدين) . وله نظم جيد أورد ابن الخطيب (في الإحاطة) نماذج منه. ولابن مرزوق الحفيد كتاب في ترجمته سماه (النور البدري في التعريف بالفقيه المقري) ضبطه فيه بفتح الميم وسكون القاف، وهي لغة ثانية في اسم (مقر) البلدة التي نسب إليها هو وحفيده، بفتح الميم وتشديد القاف، وهي من قرى زاب إفريقية[1].

وهذه الرسالة قال صاحب الأعلام: «في مكتبة (أدوز) بالسوس تصوف» وقد طبعت ضمن مجلة دعوة الحق (عدد رقم ٨، صدر في ٩ صفر ١٣٨٦ هـ)، باعتناء الأستاذ عبد القادر زمامة، وكان قد أشار في مقدمتها إلى أنه سيتفرغ لطبعها محققة متقنة، إلا أن الظروف حالت دون ذلك.

* * *

---

(١) انظر ترجمته في: تعريف الخلف (٢ : ٤٩٣) وفيه : ضبطه ابن الأحمر في فهرسته والشيخ زروق، بفتح الميم وسكون القاف، وضبطه الثعالبي في العلوم الفاخرة والونشريسي بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة. والإحاطة (٢ : ١٣٦ — ١٦٥) وفيه: (توفي بمدينة فاس في أخريات محرم من عام ٧٥٩ وأراه توفي في ذي الحجة من العام قبله)، وشذرات الذهب (٦ : ١٩٣ — ١٩٦) وفيه: (توفي في حدود سنة ٧٦١). والبستان (١٥٤ — ١٦٤) وفيه: (توفي سنة ٧٩٥). وشجرة النور (٢٣٢) وفيه: (توفي سنة ٧٥٦). نفح الطيب للمقري (٣ : ١١٠ — ١٧٥)، نيل الابتهاج للتنبكتي (٢٤٩ — ٢٥٤)، فهرس الفهارس للكتاني (٢ : ٩٢)، إيضاح المكنون للبغدادي: (١ : ٤٠٩، ٢: ٦٢٦)، هدية العارفين (٢ : ١٦٠).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، هذا كتاب شفعتُ فيه الحقائق بالرقائق، ومزجتُ فيه المعنى باللفظ الرائق، فهو زبدة التذكير، وخلاصة المعرفة، وصفوة العلم، ونقاوة العمل، فاحتفظ بما يوحيه إليك، فهو الدليل، وعلى الله قصد السبيل.

حقيقة: عملُ قومٍ على السوابق، وعملُ قومٍ على اللواحق، والصوفي من لا ماضي له ولا مستقبل، فإن كان زجاجياً فبخٍ بخٍ.

رقيقة: مَنْ لم يجد ألَمَ البُعد، لم يجدْ لذةَ القرب، فإن اللذة هي التخلص من الألم.

حقيقة: لـمَّا انطبعتْ الصور في مرآة الخيال قال العقل: أنا الفلك المكوكب، فقالت الرياضة: الزَمْني وتَعَرَّف قدرك، فإذا العقل عِقَال!!

رقيقة: لتهنئ المدلجَ طلعةُ الفجر، برقَ البرقُ، فوجد الكنـز.

حقيقة: آثر الزاهد زاوية دنٍّ سقراط على ميدان حلبة المشائين، فقيل له: فأين اعتبار ﴿ **أَفَلَا يَنْظُرُونَ** ﴾ [**الغاشية: من الآية١٧**] ؟ فقال: ﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ [**الذاريات:٢١**].

رقيقة: من ضحك في نوم الغفلة، بكى عند الانتباه، فإن الأضغاث أضداد.

حقيقة: الخلوةُ مَنـزلُ الفكرِ، «وفي بيته يُؤتى الحَكَم»، وباب هذا البيت العلم، ﴿ **وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا** ﴾ [**البقرة: من الآية١٨٩**].

رقيقة: الزادُ لك، وهو مكتوبٌ، والزائدُ عليك، وهو مسلوبٌ، فأَجْمِل في الطلب، ولا تحمل نفسك النصب.

حقيقة: العمل دواء القلوب، وإذا كان الدواء لا يصلح إلا على حِمّية البدن، فكذلك العمل لا ينجح إلا بعد صوم النفس، فَارِقْ نفسَك وتعال.

رقيقة: مَنْ سَابق سَبَق، ومَنْ لاحَقَ التحقَ، ومَنْ رَافقَ ارتفقَ، والعجزُ والكسلُ مطيتا الخيبة، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم.

حقيقة: الزاهد صاحب نَفَاسَةٍ وهمَّة، والعابد طالب رياسة وحرمة، والمعنى للعارف، يعادي في الله، ويوالي في الله، ويعمل على رضاه ولا يبالي.

رقيقة: طالب الدنيا يخاف الفوت، وصاحبُها يترقب الزوال ولو بالموت، فإذا حمي الوطيس وتجثم الرئيس أنشأ الزاهد ينشد:

عَزيــزُ النَّفْــسِ لا ولــدٌ يموتُ ولا شَــيءٌ يحَاذِرهُ يَفــوتُ

حقيقة: القلب إيوان المَلِك «ويسعني»، وعِزُّ الملك لا يرضى بِذُلِّ المزاحمة، «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك**»، وهذا معنى ما قاله الشيخ تاج الدين أبو الفضل أحمد بن عطاء: «كما أنه لا يحب العمل المشترك كذلك لا يقبل القلب المشترك، فالعمل المشترك لا يقبله، والقلب المشترك لا يُقبل عليه».

رقيقة: لما وضع البسطامي أوزار حربه، فك طابع الصحيفة عن قلبه، فلم يجد بها غير الطغراء فصاح بنفسه: لَكِ البشرى، انـزل طيفور عما تريد، ليس في الدار أبو يزيد.

حقيقة: قال شيخنا أبو هادي يوماً لأصحابه: بماذا يرتقي العبد من مقام إلى مقام أعلى منه ؟ فقالوا: بفضل الله ورحمته، فقال: إنما سألتكم عن السبب الخاص بهذا الأمر، فقالوا: من عند الشيخ، فقال: يخلق الله له همة أسْنَى من همته، فيرتقي بها إلى رتبة أسمى من رتبته.

رقيقة: ذكر مذكِّرٌ بمالقة، فقام الخطيب أبو عبد الله الساحلي بهذا البيت:

ليــت شعري أفي زمام رضاكــم كتب اسمـــي أم في زمام الهوان

وكنتُ يوماً مع السلطان، والجند يعرضون عليه، وكان يُسْقِطُ ويُثْبِت، وأنا أتفكر في البيت، حتى خفتُ أن أفتضح فقلت: وَاهَمَّاهُ من هذا الإبهام، ثم كدتُ أخلد بقبح العمل إلى الأرض فينشلني حسن الظن بالله فأنهض:

إنَّ المقاديــرَ إذا ساعَــدتْ ألحقَــتْ العاجِــزَ بالقَــادِرِ

حقيقة: قال محمد بن رشيد البغدادي شيخ محمد بن علي الجمال صحابنا: صاحبنا علامات المحبة أربع: الإفلاس والاستئناس والأنفاس والوسواس.

قلتُ: الإفلاسُ التَّجردُ إلا عنه كالخليل، والاستئناسُ الاستيحاشُ إلا منه، والأنفاس والوسواس صلة الاسم وعائده.

رقيقة: أنشدني محمد بن إبراهيم أبي الحاج البلفيقي، وقال: أنشدني محمد بن رُشَيد الفِهْري: وقال: أنشدني أبو حفص الخيمي المصري لنفسه:

لـــو رأى وجه حبيبي عاذلـــــي   لتفاضلنـــا علـــى وجهٍ جميـــل

حقيقة: قطعُ السوى طهارةُ المُنيب، «ولا يقبل الله صلاة بغير طهور».

وكتابُه النَّجيبُ، والمكاتِبُ عبدٌ ما بَقِي عليه شيء. وبابُه الدّخولُ على الحبيب.

نظَرَ رجلٌ إلى امرأةٍ عفيفةٍ فقالت له: يا هذا، غُضَّ بصرَكَ عمَّا ليس لك، تنفتح بصيرتك فترى ما هو لك.

رقيقة: قال لي عبد الرحمن بن يعقوب المكتب: كان بالساحل سائح يهيم على وجهه فإذا ثابت إليه نفسه قام فقال: إلهي، بسطتَ لي أملي وأحصيتَ عليّ عملي وغيبتَ عني أجلي، ولا أدري إلى أي الدارين تذهب بي، لقد أوقفتني موقف المحزونين ما أبقيتني.

حقيقة: تحقق العلماء بالتوحيد فاستشعروا حقيقة ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [**الصافات:٩٦**] لكنهم اعتبروا خلق السبب والابتداء به، فتصرفوا بدلالة الإذن في مذهبه، فاستقاموا على طريقة الأدب، ولم يفتهم فضل التوكل.

ولم تتسع معارف الزهاد لما عرفوا المسبب لكيفية الانصراف إلى السبب منه، لدقة الفرق بينه وبين الانصراف عنه، فوقفوا للعذر مع التوكل، ولم يستعملوا أدب الجريان مع الابتلاء والأمر.

وعكف الغافلون على ظاهر السبب ففاتهم التوكل والأدب، ﴿ **أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ** ﴾ [الأعراف: من الآية١٧٩].

رقيقة: قال لي محمد بن عبد الله بن عبد الواحد الرباطي: قال لي أبو محمد بن عبد الله الإطرابلسي: دخلت على أبي الحسين الحَرَّالي فقلت له: كيف أصبحت ؟ فأنشد:

أصبحتُ ألطفَ مِنْ مرِّ النسيمِ سِرّي … على الرياضِ يكادُ الوهْمُ يؤلمني
منْ كلِّ معنى لطيفٍ أحتسي قدحاً … وكُلُّ ناطقةٍ في الكونِ تُطربني

حقيقة: قال لي محمد بن محمد بن مرزوق العجيسي الشيخ بعباد تلمسان: قال لي أبو عبد الله بن حيون النجراوي: وجدتُ على ظهر كتاب بخط عتيق:

قال أبو يزيد البسطامي: يظهر في آخر الزمان رجل يسمى شعيباً، لا تدرك له نهاية.

قالا: وهو أبو مدين.

قلتُ: وقف بظاهره مع الشريعة، وذهب بباطنه مع الحقيقة، فما انقطع لصحة البداية ولا رجع لعدم الغاية.

رقيقة: مثل دواعي الخير والشر في الإنسان كمثل الخلط الفاعل والقوة الدافعة في العليل، تغلب القوة فيسكن الخلط فيجد الراحة، وعن قليل يتحرك فيجد الألم.

حقيقة: العملُ على السَّلامة مسالمة، وتلك صناعة الراهبين، وعلى الغنيمة تجارةٌ وتلك بضاعة الراغبين، وعلى الأمر قرضٌ ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً** ﴾ [البقرة: من الآية٢٤٥].

رقيقة: سمعتُ أبا محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاطي يقول: رويتُ بالسند الصحيح أن عابداً رابط ببعض الثغور مدة، فكان كلما طلع الفجر سمع صوتاً دون أن يرى شخصاً:

لولا رجالٌ لهم سردٌ يصومونا … وآخرونَ لهم وردٌ يقومونا
لزلزلت أرضكُم من تحتكم سَحَراً … لأنكم قوم سوء لا تبالونا

حقيقة: قلتُ لقلبي: كيف تجدك ؟ فقال: أما من أمَّارتك ففي عناء الجهاد، وأما من لوامتك فعلى جمر الصبر.

فقلتُ: فمتى الراحة ؟ فقال: إذا اطمأنت النفس فغبت عن الوهم والحس.

رقيقة: لما حُنِّكَت الطينة بتمر الجنة، وغُذِّيت بلبانها فطرت على محبتها، انظروا إلى حب الأنصار التمر، فلم تطق الفطام عنها، «وتأبى الطِّبَاعُ على الناقلِ».

فذاك ما تجد من الحنين إلى التلاق، والأنين على الفراق، والشغف بمدح الغابر وذم العابر، وفي ذلك:

كَـمْ أردنا ذاك الزمـانَ بمـدحٍ فَشُغلنَـا بذَمِّ هـذا الزَّمـانِ

وإن لم نعرف عصراً خالياً ولا خلاً نائياً، بل لم يمر عليك مما تشتهيه أطيب مما أنت فيه:

كـم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينـه أبـداً لأول منـزل

حقيقة: واقع فقير هناة، ثم دخل خلوته، فبدت له نفسه بوجه مومسة، فقال: من أنت ؟ قالت: أم الحياة، فقال: ما أجمل بك أن تبدلي بتائك همزة، فقالت: إذا لم تصنع ما شئت، فانتبه لقرع العتاب فتاب.

رقيقة: دخلتُ على عبد الرحمن بن عفان الجزولي، وهو يجودُ بنفسه، وكنتُ قد رأيته بقرب ذلك معافىً، فقلتُ: أي، فسألته عن السبب ؟ فأخبرني بأنه خرج إلى لقاء السلطان، فسقط عن دابته، فتداعت أركانه، فقلتُ: ما حملك أن تتكلف مثل هذا في ارتفاع سنك ؟ فقال: حب الرياسة آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين.

ففكرتُ في قوله، فوجدتُ أن الله عز وجل لما ابتدأ أمر آدم بأن أسجد له الملائكة **﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾** [الحجر:٢٩]، والسجود أكبر تحيات الملوك، **﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾** [يوسف: من الآية ١٠٠] سرت الرياسة في طينته سريان الروح في الجسد، ثم جرت في نفوس ذريته مجرى الدم من العروق، فكانت آخر ما ينـزع منها وينـزح عنها.

حقيقة: قال لي محمد بن محمد بن مَرزُوق: قال لي بعض أصحاب أبي إسحاق الطيار دفين العباد بتلمسان: إن أبا إسحاق أقام خمساً وعشرين سنة لا ينام إلا قاعداً.

قلتُ: تعود الجلوس إلى الملك حتى تدرب على الأدب، ولو كتب اسمه في الجامكية ما اعتاده وغلبه النوم.

رقيقة: سألتُ ابن مرزوق: ولم لقب بالطيار ؟ فحدثني أنه نشر ذات يوم ثوبه في الشمس على بعض السطوح، ثم قعد هنالك، فمرَّ به رجل فقال له: طر، قال: عن

أمرك ؟ قال: نعم، فطار حتى وقع على الأرض وما به من بأس.

قلتُ: إذا صار الحق للعبد سمعاً وبصراً، فسمع به وأبصر أصاخ إلى الأحوال، واجتلى المعاني، فيرى غير مبصر ويسمع غير ناطق، كما قال الشيخ أبو عبد الله الشوذي الحلوي دفين تلمسان:

إذا نطقَ الوجودُ أصاخَ قومٌ بآذانٍ إلى نُطقِ الوُجود
وذاكَ النطقُ ليس له انعجامٌ ولكن دقَّ عن فَهمِ البليد
فكنْ فطناً تُنَادَى من قريبٍ ولا تكُ ممن ينادى من بعيد

حقيقة: قيل: عَرَّض الكليم بطلب القوت في رحلة الهجرة: ﴿ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: من الآية٢٤]، فحمل على كاهل: ﴿ **إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ**﴾ [القصص: من الآية٢٥]، وصرح في سفر التأديب: «**لو شئت لاتخذت عليه أجراً**» فحمل على كاهل: ﴿ **قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**﴾ [الكهف: من الآية٧٨].

قلتُ: لما تمحضَ الطلب اكتفى، فلما تعلق حق الغير به وفى، ولذلك قضى أبا المرأتين أبعد الأجلين.

رقيقة: كان خرق السفينة إراءة لكرامة: ﴿ **فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ**﴾ [طـه: من الآية٣٩]، في مرآة: ﴿ **وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ**﴾ [الكهف: من الآية٧٩]، وربما صحّت الأجسامُ بالعلل، وقتلُ الغلام إشارةٌ إلى اشتمال فتنةٍ: ﴿ **فَقَضَى عَلَيْهِ**﴾ [القصص: من الآية١٥] على رحمة: ﴿ **فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ**﴾ [طـه: من الآية٤٠]، برمز: ﴿ **فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً**﴾ [الكهف: من الآية٨٠]، والمحنُ الصمُّ حبائلُ المِنَح، وإقامةُ الجدار إشارةٌ لفتوة: ﴿ **فَسَقَى لَهُمَا**﴾ [القصص: من الآية٢٤]، ليخفض له جناح: ﴿ **إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾ [القصص: من الآية٢٤]، فيستظل من حرور: ﴿ **لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً**﴾ [الكهف: من الآية٧٧]، وفي تيه: ﴿ **هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ**﴾ [الكهف: من الآية٧٨] ﴿ **وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**﴾ [الكهف: من الآية٨٢].

حقيقة: قيل لمحمد بن الحسن الزبيدي التونسي وأنا عنده بها: كيف لم يصبر الكليم وقد ناط الصبر بالمشيئة ﴿ **سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً**﴾ [الكهف: من الآية٦٩] وقد جاء في الصحيح في قصة سليمان عليه السلام: «**لو قال إن شاء الله لكان كما قال**»، والمقام الموسوي أجل ﴿ **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾ [طـه:٤١]، وطلابه أفضل «**ما جميع أعمال البر والجهاد في طلب العلم إلا كبصقة في البحر**»؟

فقال: كان موسى على علم من علم الله وهو علم المعاملة، لا يعلمه الخضر، وكان الخضر على علم من علم الله لا يعلمه موسى، فلم يظن أنَّ مما لم يحط به خبراً ما يأباه حكم الظاهر، وإلا فكيف يلتزم الصبر عليه وقد أُمر بصرف الإنكار إليه؟ ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ [طـه: من الآية٩٢]، بل لم يعتد مثله من ملاقاة المشاق فيما كان عليه الخضر من اختراق الآفاق وركوب الطباق، فما علقه بقوله فقد صدقته بفعله، وما لم يستطع عليه صبراً فلم يدخل في التزامه اعتقاداً ولا ذكراً.

رقيقة: ألفيتُ لعبد الحق الإشبيلي بيتاً هو أفضل من قصيدة:

قـد يسـاقُ المرادُ وهـو بعيدُ ... ويُـرَدُّ المـرادُ وهـو قريـبُ

ومن أراد أن يعرف قدر هذا الترتيب فليتل قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: من الآية١٣].

حقيقة: حدِّثتُ بمصر أن عمر بن الفارض أُولع بجملٍ فكان يستأجره من صاحبه ليستأنس به، فقيل له: لو اشتريته، فقال: المحبوب لا يُملَك.

فقلتُ: في أي حال كان هذا منه؟

فقيل لي: في بداية أمره.

فقلتُ: وجه اعتبار ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ﴾ [الغاشية: من الآية١٧] إليه فوقفت به رؤية المعنى فيه عليه، فأحبه مُدِلاً وطلبه مُجِلاً.

رقيقة: لصاحب الوقت يومان:

يـوم بأرواح يبـاع ويشتـرى ... وأخـوه ليس يسام فيـه بدرهم

وفصّل الفضل بينهما:

وما تفضـل الأيام أخرى بذاتهـا ... ولكـنّ أيـام الملاح مـلاح

حقيقة: قال المريد: الوقت سيف، وقال الواصل: بل مقتٌ، فتلا العارف: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: من الآية٩١].

رقيقة: أنشدني أبو محمد المجاصي، قال: أنشدني شرف الدين الدمياطي، قال: أنشدني تاج الدين الأُرموي، قال: أنشدني فخر الدين محمد بن عمر الرازي لنفسه:

نهايـةُ إقـدامِ العقـول عقـالُ ... وأكثـرُ سَـعْيِ العـالمينَ ضـلالُ
وأرواحُـنا في وَحشـةٍ مـن جُسـومِنا ... وحاصـلُ دنـيانا أذىً ووبـالُ
ولم نسـتفدْ مـن بحثنا طـولَ عمـرنا ... سـوى أن جمعـنا فـيه قـيلَ وقالـوا
كـم رجـال قـد رأيـنا ودولـة ... فـبادوا جمـيعاً مسـرعين وزالـوا

وكـم من جبال قد علتْ شرفاتهـا رجالٌ فماتوا والجبـالُ جبـالُ

حقيقة: قلت للسر: ما لك تحس من خلف الموانع ؟ فقال: خَرَقَ شُعَاعِي سور العوائق ثم انعكس إليّ بصورة العوائق، فأصبحت كما قيل:

كـأنَّ مرآةَ عينِ الدَّهـرِ في يـده يَـرى بهـا غائبَ الأشياءِ لم يغبِ

رقيقة: حفظتُ من خط الشيخ أبي يزيد القابسي والد صاحبنا أبي الحسن: قيل للغزالي: ما تقول في الحلاج ؟ فقال: وما عسى أن أقول فيمن شرب بكأس الصفاء، على بساط الوفاء، فسكر فعربد، فاستوجب من الله تعالى الحد، فكان حدّه شهادة.

حقيقة: عربد الحلاج في الحضرة لما فشا بسكره سر أمره، فانتصر الظاهر لنفسه لصحة تعلق اسمه، وسدل الباطن على عذره حجاب الغيرة من إفشاء سره ثم قلتُ:

على سمة الأسماء تجري أمورهـم وحكمة وصف الذات في الحكم أجرت

رقيقة: فضّ الخاتم عن الدن قبل عرفان عَرف الخمر، فانتشى للنشا وانتك للنكهة، فاختلس عقله وما شرب، ليته خلل شعره ثم صب.

حقيقة: أشرف أسمائك ما أضافك إليه، وأكرم صفاتك ما دلك منك عليه:

لا تـدعني إلا بـيا عـبدها فإنـه أشـرف أسمائـي

ولا تصفنـي بالهـوى عندهـا فعندهـا تحقيـق أنبائـي

رقيقة: سمعتُ شيخنا بِالقدس يقول: تجلى الله تعالى بالمسجد الأقصى بالجمال، وعلى المسجد الحرام بالجلال، وعلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالكمال.

قلتُ: فذلك يوقف النواظر، وذلك يملأ الخواطر، وهذا يفتح البصائر.

حقيقة: إذا قابل إبرة القلب مغناطيس الحُب صبا فانجذب، فإذا اجتمعا عشي فانقطع، فإذا اتدا فني فبقي، حاشى للصوفي أن يموت.

رقيقة: أخبرني أمير المؤمنين المتوكل أن جده أمير المسلمين أبا سعيد رحمه الله تعالى سأل كاتبه عبد المهيمن الحضرمي عن تهادي أهل الحب للتفاح دون الخوخ، وكلاهما حسن المنظر طيب المخبر شديد الشبه بأخيه، شديد تشبيه الوجنات به لمتوخيه ؟

فقال: من عند مولانا.

فقال: أرى ذلك لاشتمال التفاح على الحَبّ الذي يذكر بالحب، ولاشتمال الخوخ على النوى الذي يكدر اسمه صفو الهوى.

حقيقة: العمل رياش، والحسن صورة، والملاحة روح، فذلك ستره عليك، وذلك

عنايته بك، وهذا سره فيك.

رقيقة: أعطي يوسف شطر الحسن، أي حسن آدم، لأنه إن لم يكن في الإمكان أبدع مما كان، فقد خلقه الحق بيده في أحسن تقويم، ثم نفخ فيه من روحه، لتتم علة سجود التحية والتكريم، فكان كما قال من أنزل عليه الفرقان: «**خلق آدم على صورة الرحمن**» فآدم إذن كمال الحسن، وإلا فهو المراد، لأن الشطر يقتضي الحصر، والصنف ينـزع الوصف.

وأعطي محمد صلى الله عليه وسلم كمال الجمال، فما أبصره أحد إلا هابه، وتمام الملاحة فما عرفه شخص إلا أحبه، مع إنباء نوره في الآباء بأن أبوة المعنى لسيد نجباء الأبناء كمال، قال العارف عمر:

وإني وإن كنتُ ابـــن آدمِ صــورة فلـــي فيه معنى شاهد بأبوتـــــي

حقيقة: خوف من لم يفر خَوَرٌ وذلك الجبن، «**من خاف أدلج**»، ورجاء من لم يكر تمنٍ وتلك الزمانة، «**يا ليتني كنتُ معهم**».

رقيقة: سمع ابن شاطرٍ سائلاً يقول: الجنة رخيصة، فقال: كيف تكون رخيصة والله عز وجل يقول: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ [التوبة: من الآية١١١]؟

قلتُ: ما الأنفس والأموال في جنب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ؟ ولا سيما وفوق هذا الحسنى وزيادة الإكرام بالنظر والرضاء ؟!

حقيقة: لا يثنيك الخوف عن قرع الباب فتيأس، فإنه ﴿ **لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [يوسف: من الآية٨٧].

ولا يدنيك الرجاء من الفترة فتأمن، فإنه ﴿ **فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [الأعراف: من الآية٩٩].

فإن لم تستطع بعد الحرص أن تدخل فلا تمل كل الميل مع النفس ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾ [يوسف: من الآية٥٣].

رقيقة: ارفع قصتك في رقعة الإقبال، على كف الرجاء، خافضاً من طرف الحياء وصوت الإدلال، عاكفاً في زاوية الإنكماش، من وراء ستر الخوف – يخرج عليك حجاب القدر من باب الكرم بتوقيع ﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ**﴾ [الانبياء: من الآية٧٦].

حقيقة: وجد العارف فجاد بنفسه، «**فوجد الله عنده**». وتواجد المريد فحاكى، ومن لم يبك تباك.

رقيقة: اللحم أيام التشريق مكروه، وكل لذة عند أرباب السعة كاللحم عندك في الأضحى، فلا ترينك الغفلة عن سرك زيادة النعمة عند غيرك.

حقيقة: صدق مجاهدة الفاروق أيقظ الوسنان، وطرد الشيطان وأرضى الرحمن، ففاز بسلامة «**ما سلكتَ فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجك**».

وحقق مشاهدة الصديق «أسمع من أناجي»، فحاز غنيمة «**لو كشف الغطاء ما ازداد يقيناً**».

فذهب أبو بكر في السابقين، ولحق عمر بأهل اليقين، فما أدرك الصديق أداء التصلية حتى استدرك الفاروق قضاء السقيفة:

ولو كنتُ في أهــل اليمين منعمــاً بكيت علــى ما فات في زمن الصبا

رقيقة: قال لي أبو حيان بمصر: قال لي عمر بن الخيمي: تحادثتُ أنا ونجم الدين ابن إسرائيل هذا البيت:

يا بارقــاً بأعلـــى الرقمتين بـــدا لقـــد حكيت ولكن فاتك الشنــب

فتحاكمنا إلى ابن الفارض، فأشار بأن ننظم قصيدة، نضمنها البيت، فنظم ونظمتُ:

يا مطلباً ليس لـــي في غيـــره أرب إليك آل التقصـــي وانتهى الطلــب

فقضى به لي.

حقيقة: حدثت أن أبا زيد الهزميري بعث إلى ابن عمران التسولي، وكان كثير الصلاة: أنه لم يبق بينك وبين الله حجاب إلا الركيعات، فرفع إليه ما معناه: إن الاتصال كان منها فلا كان الانفصال عنها.

يعني: من رزق من باب فليلزمه.

رقيقة: حدثت أن أبا محمد عبد العظيم الزموري حضر على نصراني قد حلق لحيته، فأقبل عليه حتى قبله، وهو يبكي ويقول: أحسنت يا من قدر لحية عصت الله قدرها، ما يصلح لها إلا ما فعلتَ بها !

حقيقة: تخيرْ المساعد واختبرْ المصاعد، وليكن هُمك في سفرك منك معرفتَك كيف ترجع إليك، فلن يحقق صفة الربوبية من لم يتحقق نعت الربوبية.

رقيقة: حدثت أن بعض فقهاء المشرق اختلس متاعه، فهتف بالسارق قد وهبتكه، فقل: قبلتَ.

فقلتُ: تخلق بالسماح، والسماح رباح، ورحم ذليل العصيان «**والراحمون يرحمهم الله**».

حقيقة: سفر المريد تجارة، وسفر العارف عمارة، فهذا يرحل للإقامة عند الحقيقة، وذاك يطلب الاستقامة على الطريقة.

رقيقة: افتخر الغراب بإقامة قرآن الفجر، فقيل: حتى تغسل بول الشيطان من أذنك، فطرب الديك فرحاً بالفوز، وندب العصفور ترحاً على الفوت.

حقيقة: سألت أبا عبد الله بن شاطر الجمحي عن معنى قول ابن الفارض:

فلم أله باللاهوت عن حكم مظهر ... ولم آنس بالناسوت موضع حكمة

فقال: يقول: ما أنا بالحلاج، ولا ببلعام.

فقلتُ: وهذا هو الإنسان على الكمال والتمام، ولقد سمعته يقول في الحلاج: نصف إنسان، يشير إلى البيت.

رقيقة: حدثت أن أبا الحسن الشاذلي لما أزمع على التحول من طيبة على من بها الصلاة والسلام أَوْقَفَ فعله على إذنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرآه في منامه فقال له: تُوحِشُنَا يا علي، فأخذ يَجِدُ في طلب الإذن فأذن له، وقال: إذا جئت مصر فاقرئ عز الدين بن عبد السلام مني السلام، قال: فلما التقيا بلغه المألكة سراً لم تطمئن نفسه لذلك، فلما قام المزمزم قال:

صدق المحدث والحديث كما جرى ... وحديث أهل الحب ما لا يفترى

فاستغفر الشيخ وكذب نفسه، ثم حط للتعليم رأسه.

رقيقة: حدثتُ أن ابن امحوط المولَه دخل في حلقة أبي عبد الله بن رشيد بجامع القرويين، وبين رجليه قصبة كأنها فرس، وبيده أخرى كأنه رمح، فانتهره رجل، فضربه برمحه على رأسه وقال له: اسكت يا ميت، فبهت الناس لكلامه، وقال له الشيخ: يا فقير أنت في حال ونحن في مقال، وشأن أرباب الأحوال التسليم لأصحاب الأقوال، فنظر إليه المولَه وانصرف، ثم لم يلبث المنتهر أن توفي بعد ذلك بأيام قلائل.

حقيقة: الوهم شيطان القلب، يأتيه من بين يديه، ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، وسائر الجهات بمراقبة ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ**﴾ [الأنعام: من الآية٦٥].

فمن ثَمَّ كان أشد تقلباً من المرجل على الجمر، فإذا ذكر الله سكن، ﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: من الآية٢٨].

رقيقة: فرق القلب من ذكر الله خوفاً ﴿**وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ [الأنفال: من الآية٢]، ثم سكن بذكره رجاء ﴿**وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ**﴾ [الرعد: من الآية٢٨]، فعاد إليه بعد داء ﴿**تَقْشَعِرُّ مِنْهُ**﴾ [الزمر: من الآية٢٣] دواء ﴿**ثُمَّ تَلِينُ**﴾ [الزمر: من الآية٢٣]، فنعق

بلائمه:

دع عنـــك لومي فإن اللوم إغـــراء

ثم هتف بمنادمه:

وداونـــي بالتـــي كانت هـــي الداء

حقيقة: العبودية صفة نفسك، لأنها حال أحد العبيد، والعبودة صفة قلبك لأنها ملكة واحد العباد، والعبادة قصد وجهك، لأنها نعت الفرد من العباد.

رقيقة: صن عينك عن قلبك لربك، وقلبك عن نفسك لحسك، ونفسك عن طبعك لوليك، وطبعك عن هواك لعدوك، وهواك عممن سواك، فقد كنتَ من أهل الجنة فثناك وهمه أن يقطعك عما أخرجَ منه أباكَ، ﴿لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: من الآية٢٧].

حقيقة: الصبر مطية المُرِيد، والرضا سجية المراد، فهذا يقوم للأمر، وذاك يسعى للأجر.

رقيقة: كنتُ بجامع تلمسان وإلى جنبي رجل ينتمي إلى طريق العرفان، فجعل سائل يشكو الجوع والألم، فتصدق ذلك الرجل عليه بدرهم، وقال: إياك أن تشكو الرحمن إلى من لا يرحم.

فقلتُ: أمره أن يسأل عزيزاً بمولاه، ونهاه أن يشكو ذليلاً من سواه.

وكان الفارابي يكثر أن يقول: يا رب إليك المشتكى، حتى أنه ليوجد في أثناء ذكره وكلامه في غير موضعه، فيعجب من لا علم له بمنـزعه.

حقيقة: الشطح كناية، والكرامة عناية، والاعتراض جناية، فإياك و"لِمَ "، فإن عرفتَ فاتبع، وإن جهلت فسلم.

رقيقة: قلتُ لابن شاطر: كيف حالك ؟ فقال: محبوس في الروح، وصدق، لأن الدنيا سجن ولا مخلص له من حبسه إلا بمفارقة نفسه.

حقيقة: تحقق الحامد بكمال الذات فغاب عن حسه في بحار العظمة، وتعلق الشاكر بجمال الفعل فوقف مع نفسه بسوق النعمة، فهذا تاجر ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾ [ابراهيم: من الآية٧] وهذا ذاكر ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ﴾ [النحل: من الآية٥٣].

رقيقة: حدثت أن الإمام الفخر مر ببعض شيوخ الصوفية، فقيل للشيخ: هذا يقيم على الله تعالى ألف دليل، فلو قمتَ إليه ! فقال: وعزته لو عرفه ما استدل عليه، فبلغ ذلك الإمام فقال: نحن نعلمه من وراء حجاب، وهم ينظرون من غير حجاب.

وهذا كقوله في التفسير: إن النعلين اللذين أمر موسى بخلعهما هما المقدمتان اللتان يتوصل إلى المعرفة بهما، فقيل له: إنك قد حللت بالوادي المقدس لسماع: ﴿ **أَنَا رَبُّكَ**﴾ [طه: من الآية١٢] فلا تنصرف عن مقام التحقيق إلى طلب التصديق، فليس الخبر كالمعاينة.

حقيقة: ما حَمِدَ الله حقَّ حمدِه إلا من عرفَه حق معرفته، وذلك لا ينبغي لغيره «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**».

رقيقة: الليل معاد الأنس ﴿ **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً**﴾ [المزمل:٦]، والنهار معاش النفس ﴿ **إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً**﴾ [المزمل:٧]، فهذا نشاط رغبة يتسع في مناكبه المجال، وتعتور على مراكبه الأحوال، وذلك حجاب رهبة تهوى إليه الأوجال وتجتمع فيه هموم الرجال، ألا ترى كيف يهاب الجبان درقة الأبطال، وتتقي الحواس جلبة الخيال، كما قال:

نهاري نهار الناس حتى إذا دجا ... لي الليل هزتني إليك المضاجع
أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ... وتجمعني والهم بالليل جامع
لقد علقت بالقلب عنك محبة ... كما علقت بالراحتين الأصابعُ
أتطمع من ليلى بوصل وإنما ... تقطعُ أعناقَ الرجال المطامعُ

حقيقة: حجب الطالب أربعة:

فحجاب الغيرة قاذع، قيل لبعضهم: أتحب أن تراه ؟ فقال: لا، قيل: ولم ؟ قال: أُجِلُّ ذلك الجمال عن نظر مثلي.

وحجاب الهيبة قامع، نزل فقير على ابن عجوز، فبينما هي تصلح له الطعام غشي على الفتى، فسألها الفقير، فقالت له: إنه يهوى ابنة عم له بتلك الخيمة، فخطرت، فاشتم غبار ذيلها، فذهب عقله، فذهب الفقير ليخطبها عليه، فقالت: إذا لم يطق غبار ذيلي فكيف يستطيع أن يشاهدني !!

وحجاب الحيرة دافع، ومن ثم حلا لأرباب الغيبة، قال بعضهم: يا دليل الحائرين زدني تحيراً، ومر على أصحاب الرغبة والرهبة كما قال:

قد تحيرتُ فيك خذ بيدي ... يا دليلاً لمن تحير فيك

وحجاب الغفلة قاطع، كان بعضهم يقول: إن عذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب، ونظر آخر إلى امرأة فوقع عليه سهم فنزعه، فإذا عليه مكتوب: نظرت بعين العبرة فرميناك بسهم الأدب، ولو نظرت بعين الشهوة لرميناك بسهم القطيعة.

رقيقة: حُجُبُ المطلوب ثلاثة: فحجاب التيه جمال، كما قال العارف عمر: يعني ابن الفارض

تـــه دلالاً فأنـــت أهل لــذاك ... وتحكـــم فالحسن قد أعطـــاك

وحجاب العزة جلال:

همـــت بإتياننا حتى إذا نظـــرت ... إلى المرآة نهاهـــا وجهها الحسن

وحجاب الكبرياء كمال، وأنشدت لرابعة:

أحـــبك حـــبين حـــبَّ الهـــوى ... وحـــباً لأنـــك أهـــل لـــذاك

فأمـــا الـــذي هـــو حـــبُّ الهـــوى ... فشـــغلي بذكـــرك عمـــن ســـواك

وأمـــا الـــذي أنـــت أهـــل لـــه ... فـــرفعك للحجـــب حتـــى أراك

فلا الحمـــد في ذا ولا ذاك لـــي ... ولكـــن لك الحمـــد في ذا وذاك

وهذا معنى ما في الصحيح «**ما بين أهل الجنة وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه جنة عدن**».

حقيقة: حدث أن رجلاً كان يجلس إلى أبي الحسن الحرالي، وكان يشرب الخمور، فسكر مرة فسقط على زجاجة فشج وجهه، فاختفى إلى أن برئ، ثم عاد إلى مجالسته، فلما رآه الشيخ أنشد:

أجـــريح كاســـات أرقـــت نجـــيعها ... طلـــب الـــتراث يعـــز مـــنه خـــلاص

لا تسفكن دم الزجاجـــــة بعدها ... إن الجروح كمـــا علمت قصـــاص

ففهم الرجل، فتاب.

رقيقة: قيل لابن شاطر: صف لنا الدنيا، فقال: ﴿**كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ**﴾ [النور: من الآية٣٩] الآيتين، فبلغ ذلك أبا زيد بن الإمام، فأنكره عائباً لاستحسان سامعه، تالياً ﴿**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**﴾ [النساء: من الآية٤٦].

ولقد أصيب المتعسف بأدهى منها وأمر، فإنه أفحم يوماً بعض أهل النظر، فتلا ﴿**فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**﴾ [البقرة: من الآية٢٥٨] على أن له أن يقول: لم أخرج الآية عن مرادها بالبهت من انقطاع المعاند، والكفر من جحد الجاحد.

ولنا أن نقول: التحريف المذموم التحويل للإبطال، وليس هذا في قصة المُمَثِّلِ الأولِ بالمثالِ.

حقيقة: لا يوضع السر إلا عند أهله، ولا يذيعه إلا من ضاق ذرعاً بحمله، فإن عدا مودعه الرمز به فقد زل، وإن تعدى مودعه الغمز فقد ضل.

رقيقة: كنتُ كثيراً ما أسمع أبا محمد المجاصي ينشد هذا البيت:

هم رجال وغَبْنٌ أن يقال لمن لم يتصف بمعاني وصفهم رجل

ثم يبكي. وكان أهل البلد يسمونه البَكّاءَ، وبعضهم يسميه الخاشع.

حقيقة: أهم ما على السالك مراعاة قلبه، لئلاً يتلف في تقلبه فإن ذلك فساد حاله وذهاب رأس ماله.

رئي فقير ينادي في السوق: ارحموا صوفياً ذهب رأس ماله، فقيل: وهل للصوفي رأس مال ؟ فقال: نعم، كان لي قلب فقدته.

رقيقة: كنتُ يوماً بالمسجد الجامع بتلمسان ومعي أبو عبد الله بن شاطر، فأردتُ الذهاب، فقال لي: تنصرف عن روضة من رياض الجنة يقام فيها على رأسك هذا التاج، وأشار إلى المنار مملوء بالله أكبر، فكأنما عقلني، فجلستُ.

حقيقة: الزوال وقت المناجاة، فَطَهِّرْ قلبكَ قبْلَهُ من الحاجات، فقد قيل: إن نقطة الخط أسرع انتقالاً من اللحظ.

رقيقة: كان ابن شاطر يقول: الجديدان حَرَسِيَّان، أحدهما أسود والآخر أبيض، وكلاهما قد أخذ بمجامعنا إلى يوم القيامة، ثم يتلو ﴿ **وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ** ﴾ [غافر: من الآية٤٣].

حقيقة: تنازع القلب والنفس الخِلْقَة، فترافعا إلى العقل، فقسمها بينهما، فانفردت النفس بالهوى، والقلب بالتقوى، فصرفت الطرَف إلى الجهتين، وقطعت الشقة بين الفئتين.

رقيقة: الدنيا معشوق الطالب عاشق الهارب، هذا يستخدمها، وذاك يخدمها، يبني الخادم المسجد ليقال، ويعمره المخدوم لينال، فعل الخادم السعي من غير جدوى، وليس لِرَحْلِ حَطَّهُ اللهُ حامِل، وللمخدوم الجدوى من غير سعي، وليس لما تبني يَدُ الله هادم، إنّ السعادة أصلها التخصيص.

حقيقة: التفت إلى مواهب الملوك تجدهم إنما يوسعون فيما قد يسترجعون، فأما العلماء ولك من يعطي بحق فإنما يعطون بقصد ﴿ **وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ** ﴾ [طه: من الآية١٣١]، واصبر نفسك دونهم، فعن قريب تنصرف عنهم.

رقيقة: قمت ببعض الأسحار، على قدم الاستغفار، وقد استشعرتُ الصبابة واستدركت الكآبة، فأملى الجنان على اللسان بما نفث في روعه روح الإحسان:

منكسر القلب بالخطايا يدعوك يا مانح العطايا

أقعـــده الذنب عـــن رفيـــق   حَثُّـــوا لرضوانـــك المطايـــا

حقيقة: إن أكبرتِ النفسُ حالَها فَذَكِّرْهَا أصلها ومآلها، فإنها تصغر عند ذلك وتستقيم بك على أرض المسالك «**حثوا التراب في وجوه المداحين**»، ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ** ﴾ [طـه: من الآية٥٥].

رقيقة: إنما يتعاظم من يجد الحقارة من نفسه ويتوهم المهانة عند أبناء جنسه، فلذلك تراه مغمزاً للعيون، مهمزاً للظنون «**من أسر سريرة حسنة كساه الله رداءها**».

حقيقة: النص سلاح، والنظر مطية، والاتباع جنة، والورع نجاة، والخلاف فتنة، والبِدَع مَهَالك، وخير الأمور أوساطها.

رقيقة: قلتُ:

أشـيم الـبرق مـن بـين الثـنايا   وأَشَّـتَمُّ العـبير مـن الثـناء
فأبــدو تارة وأغيــب أخـرى   مـثـار الشــوق مثنـي الحشاء

حقيقة: وقفتُ ذات يوم بالجبانة، واستفهمتُ اسمي هل عرف منها مكانه، فأملى بعد هنيهة من نظمه ما وقفت منه على حقيقة مبلغ علمه:

كــل مـيت رأتــه عـيني فإنـي   ذلــك المـيت إن نظـرت بقلـبي
وجمـيــع القبـــور قبـــري لولا   جهـــل نفسي بمـــا لها عند ربي

رقيقة: حُدِّثْتُ أن ابن الفارض دخل على الشيخ عز الدين، وقد ذهب به التفكر فيما له عند الله عز وجل، فكاشفه بأن أنشده من قصيدة له:

لك البشارة فاخلع ما عليك فقــد   ذكرت ثَمَّ علـى ما فيك من عـوجِ

فبدرته البشاشة، وأظن أنه قد خلع قماشه.

حقيقة: الوحدة فهم، والتوحيد علم، والاتحاد حكم، والاثنينية وهم.

رقيقة: من تفكر تذكر، ومن تذكر تبصر، فإن أكمل وقف وإن قصر انصرف، «**إنا هديناك السبيل**».

حقيقة: النفس الأمارة آبِدة لا تُمْلَكُ إلا بلطائف الحِيَل، والمطمئنة ذَلُول لا تفلت إلا ممن غفل، ﴿ **وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ** ﴾ [يوسف: من الآية١٣].

رقيقة: من جرَّ لنفسه جار على قلبه، فلا تقبل شهادته عند ربه، لأن العدل ترك العدول والميل.

حقيقة: لا تقدمن إلا بدليل وإذن، واحذر ما لا ينفع ما استطعت فقد يضر، ثم انظر فلا حرج عليك إن جهلت ما لا تكلف علمه، وأخاف عليك سوء عاقبة

الهجوم.

رقيقة: إنما تزيد من دنياك بقدر ما تنقص من دينك، فإن زيادة الجدار على قدر نقصان الجبل.

حقيقة: دع الغريب وما يريد، واركب الجادة ولا تتبع بُنَيّات السبل، فتتفرق بك عن صراط الحق.

عصمني الله وإياك من مسالك الزلل، ويسرنا لما يرضى به عنا من القول والعمل، بمنه وكرمه لا رب غيره ولا خير إلا خيره، وهو نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والصلاة والسلام على مولانا محمد عبد الله وآله وصحبه وسلم تسليماً.

* * *

حل العقال

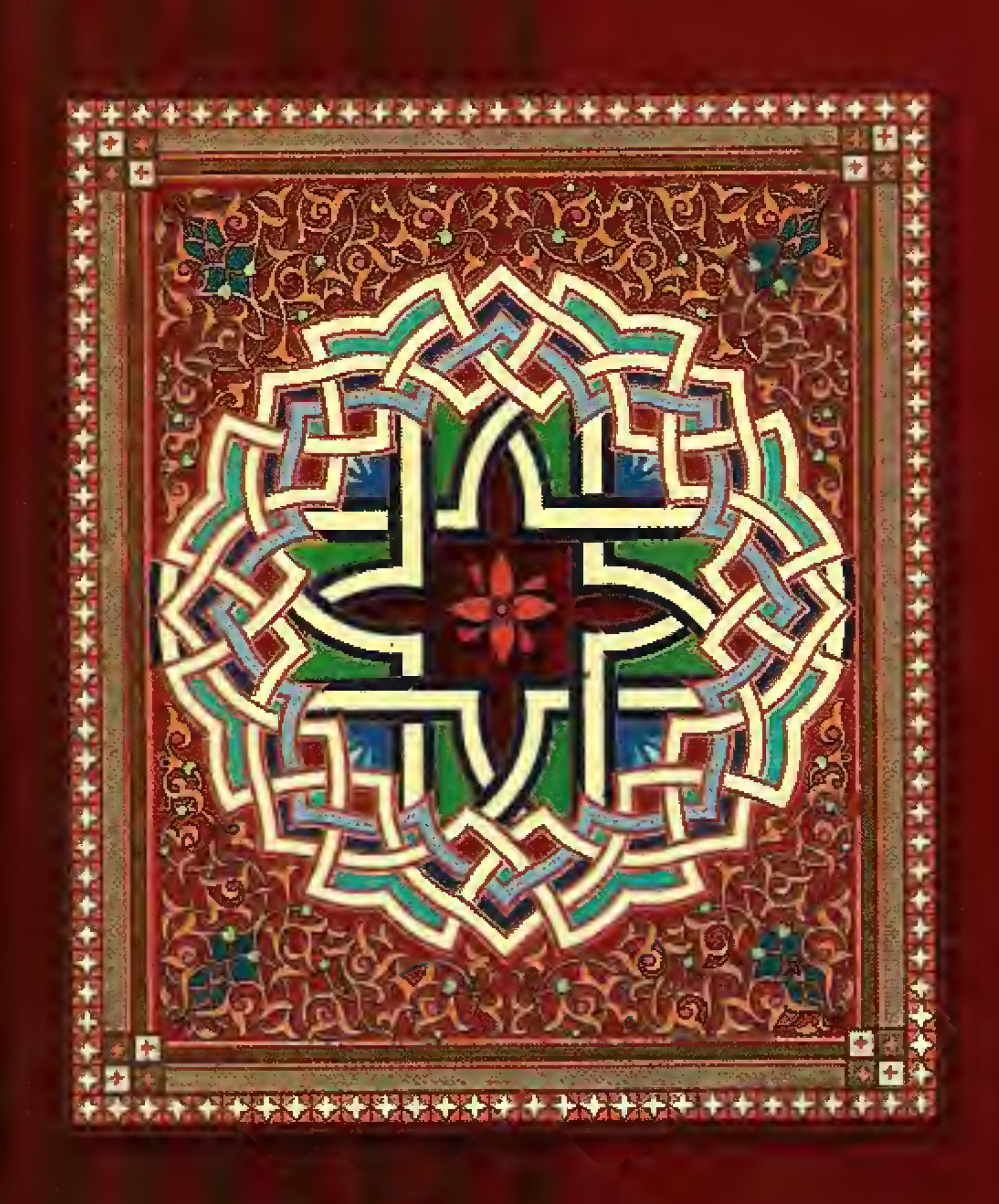
(حكم وآثار وقصص وأخبار)

تأليف

ابن قضيب البان الحلبي

عبد الله بن محمد حجازي بن عبد القادر بن محمد

المتوفى ١٠٩٦هـ



ويليه

الحقائق والرقائق

تأليف

الإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن محمد المقري

المتوفى ٧٥٩هـ

اعتنى بهما

عمرو سيد شوكت

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت لبنان